فساد من زعم ان وسواسا مصدر مضاف اليه والتقدير ان المصدر والمضاف ذو التقدير لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع بل يلزم
طريقة واحدة ليعلم اصالته في المصدرية وانه عارض الوصفية فيقال امرأة صوم وامرأتان صوم ونساء صوم
لان المعنى ذات صوم وذاتا صوم وذوات صوم وفعلال الموصوف به ليس كذلك بل يثنى ويجمع ويؤنث فتقول
رجل ثرثار وامرأة ثرثارة ورجال ثرثارون وفي الحديث ابغضكم الى الثرثارون المتفيهقون وقالوا ريح رقراق
اي تحرك الاشجار وريح سفساف اي تنحل التراب ودرع صفصاف اي مشعر والفعل من ذلك فعلل والمصدر فعلله
وفعلال بالكسر ولم ينقل في شيء من ذلك فعلالا بالفتح وكذلك قالوا تمتام وقافا وقلاص اي ظاهر في الدلالة
ومجعاج اي كثير الكلام وهرهار اي ضحاك وكهكاه وطواط اي ضعيف وخشخاش وعسعاس اي خفيف وهو كثير
ومصدره كله الفعللة والوصف فعلال بالفتح ومثله هفهاف اي جهض ومثله دحداح اسد اي قصير ومثله نخاج
اي جسيم ونخاج اي الكن وسمسام اي سريع ومنه حسحاس اي مصوت وقعقاع مثله واسد قصقاص اي كاسر
وحية نصناص تحرك لسانها فقد رأيت فعلالا في هذه الكلمة وصفا لا مصدرا فما بال الوسواس اخرج عن نظائره
وقياس بابه فثبت ان وسواسا وصف لا مصدر كرماد وتمتام ودحراج وبابه ويدل عليه وجه آخر وهو انه
وصف بما يستحيل ان يكون مصدرا بل هو متعين للوصفية وهو الخناس فالوسواس والخناس وصفان لمصدر
محذوف وهو الشيطان وحسن حذف الموصوف ههنا غلبة الوصف حتى صار كالعلم عليه والموصوف انما يصح حذفه
اذا كان الوصف مشتركا فيقع اللبس كالطويل والقبيح والحسن ونحوه فيتعين ذكر الموصوف ليعلم ان الصفة له
لا لغيره فاما اذا غلب الوصف واختص ولم يعرض فيه اشتراك فانه يجري مجرى الاسم ويحسن حذف الموصوف
كالمسلم والكافر والبر والفاجر والقاضي والشاهد والوالي والامير ونحو ذلك فحذف الموصوف ههنا احسن
من ذكره وهذا التفصيل اولى من اطلاق من منع حذف الموصوف ولم يفصل ومما يدل على ان الوسواس وصف لا مصدر
ان الوصفية اغلب على فعلال من المصدرية كما تقدم فلو اريد به المصدر لاوجب بذو المضافة اليه لزوال اللبس وتعين
المصدرية فان اللفظ الدال اذا احتمل الامرين على السواء فلا بد من قرينة تدل على تعيين احدهما فكيف والوصفية
اغلب عليه من المصدرية وهذا بخلاف صوم وفطر فانهما مصادر لا تلتبس بالاوصاف فاذا جرت اوصافا علم انها
على حذف مضاف او تنزيلا للمصدر منزلة الوصفية مبالغة على الطريقتين في ذلك فتعين ان الوسواس هو الشيطان
نفسه وانه ذات لا مصدر والله اعلم

فصل

واما الخناس فهو فعال من خنس يخنس
اذا توارى واختفى ومنه قول ابي هريرة لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض طرق المدينة وانا جنب فانخنست
منه وحقيقة اللفظ اختفاء بعد ظهور وليست لمجرد الاختفاء ولهذا وصفت بها الكواكب في قوله تعالى
فلا اقسم بالخنس قال قتادة هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار وكذلك قال علي رضي الله عنه هي
الكواكب تخنس بالنهار ولا ترى وقالت طائفة الخنس هي الراجعة التي ترجع كل ليلة الى جهة المشرق وهي السبعة
السيارة قالوا واصل الخنوس الرجوع الى وراء والخناس هو ماخوذ من هذين المعنيين فهو من الاختفاء والرجوع
والتأخر فان العبد اذا غفل عن ذكر الله جثم على قلبه الشيطان وانبسط عليه وابرز فيه انواع الوساوس التي هي
اصل الذنوب كلها فاذا ذكر العبد ربه واستعاذ به انخنس وانقبض كما ينخنس الشيء ويتوارى وذلك الانخناس
والانقباض هو جمع ورجوع وتأخر عن القلب الى خارج فهو تأخر ورجوع بعد اختفاء وخنس وانخنس يدل
على الامرين معا قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس
وبقي راسه كراس الحية وهو واضع راسه على ثمر القلب يمنيه وبعده فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكره عاد

ووضع

ووضع راسه يوسوس اليه ويمنيه وجيء من هذا الفعل بوزن فعال الذي للمبالغة دون الخانس والمنخنس ايذانا بشدة هروبه
ورجوعه وعظم نفوره عند ذكر الله وان ذلك دابه وديدنه لا انه تعرض له عند ذكر الله اخبارا بل اذا ذكر الله عز وجل
هرب وانخنس وتأخر فان ذكر الله هو قمعه الذي يقمع به كما يقمع الفسد والشرير بالمقامع الذي تردعه من سياط وحديد وعصى
ونحوها فذكر الله عز وجل يقمع الشيطان ويؤلمه ويؤذيه كالسياط والمقامع التي تؤذي من يضرب بها ولهذا يكون شيطان
المؤمن هزيلا ضئيلا مضنى بما يعذبه المؤمن ويقمعه به من ذكر الله وطاعته وفي اثر عن بعض السلف ان المؤمن يضني شيطانه
كما يضني الرجل بعيره في السفر لانه كلما اعترضه صب عليه سياطه من الذكر والتوحيد والاستغفار والطاعة
فشيطانه معه في عذاب شديد ليس بمنزلة الشيطان الفاجر الذي موضعه في راحة ودعة ولهذا يكون قويا عاتيا
نشيطا فمن لم يعذب شيطانه في هذه الدار بذكر الله وتوحيده واستغفاره وطاعته عذبه شيطانه في الآخرة بعذاب
النار فلا بد لكل احد ان يعذب شيطانه او يعذبه شيطانه وتأمل كيف جاء بناء الوسواس فتكرر التكرير الوسوسة
الواحدة مرارا حتى يعزم عليه العبد وجاء بناء الخناس على وزن الفعال الذي يتكرر منه نوع الفعل لانه كلما ذكر الله
انخنس ثم اذا غفل عاوده بالوسوسة فجاء بناء اللفظ مطابقا لمعنييهما

فصل

وقوله تعالى في صدور
الناس صفة ثالثة للشيطان فذكر الوسوسة اولا ثم ذكر محلها ثانيا وانها في صدور الناس وقد جعل الله سبحانه
للشيطان دخولا في جوف العبد ونفوذا الى قلبه وصدره فهو يجري مجرى الدم وقد وكل بالعبد فلا يفارقه الى الممات
وفي الصحيحين من حديث الزهري عن علي بن الحسين عن صفية بنت حيي قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتكفا فاتته زوره
ليلا فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام معي ليقلبني وكان مسكنها في دار اسامة بن زيد فمر رجلان من الانصار فلما رأيا
النبي صلى الله عليه وسلم اسرعا فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلكما انها صفية بنت حيي فقالا سبحان الله يا رسول الله فقال
ان الشيطان يجري من الانسان مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما سوءا او قال شيئا وفي الصحيح ايضا عن ابي سلمة عن ابي هريرة
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا نودي بالصلاة ادبر الشيطان وله ضراط فاذا قضي اقبل حتى يخطر بين الانسان وقلبه فيقول له
اذكر كذا وكذا حتى لا يدري اثلاثا صلى ام اربعا فاذا لم يدر ثلاثا صلى او اربعا سجد سجدتي السهو ومن وسوسته
ما ثبت في الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يأتي الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول
من خلق الله فمن وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته وفي الصحيح ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله ان احدنا
ليجد في نفسه ما لان يخر من السماء الى الارض احب اليه من ان يتكلم به قال الحمد لله الذي رد كيده الى الوسوسة ومن وسوسته
ايضا ان يشغل القلب بحديثه حتى ينسيه ما يريد ان يفعله ولهذا يضاف النسيان اليه اضافته الى سببه قال تعالى حكاية
عن صاحب موسى انه قال اني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وتأمل حكمة القرآن وجلالته كيف اوقع
الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بانه الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ولم يقل من شر وسوسته
لتعم الاستعاذة شره جمعه فان قوله من شر الوسواس يعم كل شر ووصفه باعظم صفاته واشدها شرا
واقواها تأثيرا واعمها فسادا وهي الوسوسة التي هي مبادي الارادة فان القلب يكون فارغا من الشر والمعصية
فيوسوس اليه ويخطر الذنب بباله فيصوره لنفسه ويمنيه ويشهيه فيصير شهوة ويزينها له ويحسنها ويجليها له
في خيال يميل نفسه اليه فيصير ارادة ثم لا يزال يميل ويخيل ويمني ويشهي وينسى علمه بضررها ويطوي عنه سوء عاقبتها
فيحيل بينه وبين مطالعته فلا يرى الا صورة المعصية والتذاذه بها وينسى ما وراء ذلك فتصير الارادة عزيمة
جازمة فيشتد الحرص من القلب فيبعث الجنود في الطلب فيبعث الشيطان معهم مددا لهم وعونا فان فتروا حركهم
وان ونوا ازعجهم وادبهم وآثارهم فلا يزال بالعبد يقوده الى الذنب وينظم شمل الاجتماع بالطف خياله واتم مكيدة

تأمل هذا الفصل ما انفعه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)